

نافعا ، فهو عمل المعلم لا العالم ، والمبالغة غير مضره^(١) ؛ فالعالم يفحص عما يكون في الحقيقة ، لاعما كان ينبغي أن يكون . والمعلم لا يظن أن تعليمه أقوى من الحياة ؛ فإن نسي هذه النصيحة ، واجتهد أن يقهر حياة اللغة ويعوقها ، جازته وغفلت عن تعليمه ، فيتسع إذن الشق الحاجز بين اللغة الحقيقية الحية ، وبين ما يعلمه النحويون ، كما نشاهد ذلك في تاريخ اللغة العربية .

والسبب الثاني : اعتقاد علماء الشرق ، أن أكمل ما كانت عليه اللغة العربية ، وأتقنه وأحسنه ، ما يوجد في الشعر القديم . وهذا حكم غير علمي^(٢) ، وهو صحيح من جهة ، باطل من أخرى ؛ فإن القول المطلق ، بأن لغة البدو قبل الإسلام وفي أوائله ، كانت أكمل وأحسن من اللغة العربية ، المستعمله في المدن في الزمان المتأخر ، ليس مما يحتمل تبين صحته بالبراهين العلمية القاطعة ؛ لأنه يمازجه شيء من الذوق الشخصي ، كأني قلت : أنا أؤثر هذا على ذلك وأستحسنه . وإذا قيدت الإطلاق بذكر الأغراض المقصودة بالكلام ، على اختلافها ، وجدت أن لغة البدو القديمة ، كانت أدنى بكثير من لغة المتأخرين ، من جهة بعض تلك الأغراض ؛ فإن لغة البدو ، وإن كانت حسنة بارعة الحسن ، في وصف حياة البدو ، وكل ما يهمهم ، غنية غنى باهرا في جميع ذلك ، عجيبة الإيجاز والقوة ، في تمثيل المراد أمام السامعين ، كأنه حى حاضر ، فهي مع كل ذلك ، لا تكفي في تأدية أحوال الأفوام المتمدنين وحاجاتهم ، وخصوصا أفكارهم الدينية والفلسفية والعلمية ، وغير ذلك .

فإذا نظرنا إلى أحد فحول الشعراء المتقدمين ، فلاشك في أن استقصاء كل ماجاء في شعره من العبارات ، واجب وأساس من أساسات علم اللغة العربية . وإذا

(١) في الأصل : مضره « تحريف .

(٢) السبب الحقيقي في هذا الحكم ، هو قرب لغة هذا الشعر من لغة القرآن الكريم ، التي دارت حولها معظم الدراسات العربية . انظر الفصل الذي عنوانه « لولا القرآن ما كانت عربية » في كتابنا : فصول في فقه